مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

سوسيولوجيا الجنسانية العربية الراهنة والاستعراضات الدينية للمرأة:

" دراسة سوسيو–انثروبولوجيا بالحي الجامعي للبنات الذكرى الثلاثون للثورة بوهران "

The current sociology of arab sexuality and religious reviews of women: A socio-anthropological study in the university campus for girls, the 30th anniversary of the revolution in Oran

بتقة أمينة*

جامعة وهران2

aminabettk8@gmail.com

تاريخ الاستلام:2020/11/14م تاريخ القبول: 2021/01/23م

ملخص:

تهدف دراستنا إلى معرفة واقع السوسيولوجيا الجنسانية العربية الراهنة من خلال عرضنا لمسلسل التحولات التي تحدث بعمق المجتمع، خاصة ما يتعلق منها بموضوع المرأة كونها تشكل موضوعا خصبا للكتابة وأرضية ثمينة لقياس مدى التحولات والتغيرات التي تحدث داخل مؤسسات المجتمع، حيث تتجسد التحولات غالبا في الوقوع في نظرة الآخر المعادي لقضية المرأة. انصب اهتمامنا تحديدا على التجمعات الطلابية للبنات كونها مؤسسة اجتماعية تعرف حراك وديناميةمستحدثة تؤسس في بعض جوانبها جنسانيات ذات مرجعيات دينية وأخرى حداثية.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها في دراستنا هو أن الطالبة تعيش أزمة تضارب بين فكر جنساني مفعم بتصورات خارجة عن ثقافة وسطها الأسري، وفكر ديني يعود إلى مرجعيات معينة، فهذا التراوح يجعل الطالبة تعيش داخل الحي الجامعي في سياق بيئة ثقافية متحولة ليست بحداثية تماما وليست بتقليدية بل هي عبارة عن ثقافة ' هجينة '.

الكلمات المفتاحية: الجنسانية، الطالبة الجامعية، الجنوسة، الحي الجامعي.

Abstract:

Our study aims to know the reality of the current arab gender sociology through our presentation of the series of transformations that occur in the depth of society, especially those related to the issue of women as they constitute a fertile subject for writing and a valuable ground for measuring the extent of the transformations and changes that occur within the institutions of society, where the transformations are often embodied in falling into a view the other is hostile to the cause of women.

* **المؤلف المرسل:** بتقة أمينة، **الايميل:** aminabettk8@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Our attention has focused specifically on the girl's student groupings, as they are a social institution that knows mobility and a new dynamic that establishes in some aspects of it sexes with religious and other modernist references.

One of the most important findings in our study is that the student is experiencing a conflict between a gender thought full of perceptions outside the culture of her family environment, and a religious thought that goes back to certain references, it is ' hybrid ' culture.

Key words.Sexuality, Gender, Undergraduatestudent, Campus.

مقدمة:

إن تنوع أشكال الجنسانيات داخل مجتمعاتنا العربية جعلنا نرصد مسلسل التحولات التي تحدث بعمق المجتمع، خاصة ما يتعلق منها بموضوع المرأة والتي تعتبر كأرضية خصبة ثمينة لقياس مدى التحولات والتغيرات التي تحدث داخل مكونات المجتمع الأساسية، كالأحياء الجامعية والفضاء الجامعي بشكل عام بوصفها مجالات لحراك وديناميةمستحدثة تؤسس في بعض جوانبها جنسانيات ذات مرجعيات دينية، وأخرى ذات مرجعيات حداثية تكاد تقصي التصور الديني لأي ممارسة ذات طابع جنساني، لتلتقي في الأخير هذه الممارسات على أرض الواقع وتعبر عن كيفية تنظيم الجماعات الاجتماعية داخل فضاء ما، وذلك لأن " تجريب الجنسانية أو التعبير عنها يتم من خلال استيهامات، رغبات، معتقدات، مواقف، قيم، أنشطة، ممارسات، أدوار، وعلاقات. "(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص 13)

يعد البحث في ' حرمة الخطاب الجنساني '* كمرجعية دينية مرتبط أساسا بمجموع الأنشطة الدينية التي تقام غالبا داخل التجمعات الطلابية للبنات، والرامية إلى أن المرأة كفاعل اجتماعي تحاول إعطاء صبغة مقدسة للمكان الذي تعيش فيه، تظهر قدسية الحي الجامعي في إلقاء المحاضرات والأسابيع الدينية، وفي

*استخدمنا عبارة " **حرمة الخطاب الجنساني** " انطلاقا من كون إشكالية الجنس تكتسي أهمية خاصة، وهو من بين المواضيع المقدسة التي ترتبط بالعرض والشرف وكل مقدس فيه مباحات ومحرمات، والمحرمات فيه عديدة ترتبط بالدرجة الأولى بالمرأة، ولذلك دعيت المرأة عند العرب الحرمة، أي امرأة لرجل واحد ومحرمة على الآخرين لكونها جسدا تابعا ومنها أيضا جاءت كلمة الحريم، التي تعني الجنس المؤنث الآخر، وفي هذه الكلمة اشعار بضعفها واستضعافها. **أنظر**: ابراهيم الحيدر(2003)، النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب، (ط1)، دار الساقي، لبنان، بيروت، ص 227، فاعتبارا لاشتغالنا على موضوع المرأة ركزنا على كلمة الحرمة، وذلك لما تحمله نظرة الآخر حول الجنس الأنثوي من تصور محافظ غالبا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التجارة الدينية...الخ. في حين نجد طالبات أخريات تجعل من الحي الجامعي فضاء لتعلم الرقص وإقامة الحفلات، أي في هذه الحالة نلاحظ أن الطالبة تنظم هويتها الجنوسية انطلاقا من الفضاء شبه الأنثوي الذي تعيش فيه هذا ما يجعل الحي الجامعي كفضاء اجتماعي يعرف تشظي فضائي fragmentation spatiale راجع لاستخدامات الطالبات له.

وعليه ما يميز الخطاب الجنساني الحداثي ' العلماني ' وهو اختراق الفاعل الاجتماعي لما يعيشه وإدراج ممارسات وخطابات تؤول إلى ممارسة حد من المعقولية على مستوى الدين الذي يعبر عن " تلك المنظومة التشريعية التي ترسم المثل والقيم والمعايير والأخلاق وتضع القواعد والقوانين التي يسير عليها المجتمع، "(ابراهيم الحيدر، 2003، ص 275) فالجنسانية في هذا السياق هي قراءة للمعطى الشهواني والارتباط المتعي hédoniste في حياة كل من الذكر والأنثى. فما يشير إلى العلاقة التصادمية بين الخطاب الجنسي والخطاب الديني حسب ما كان ملاحظ في مجتمع بحثنا هو كل علاقة عاطفية بين ذكر وأنثى متبوعة بعلاقة مشروعة (زواج) هي مقبولة في نظر الحس الجمعي.

إن " المجتمع العربي يعيش اليوم أزمة ركود وإحباط، وتترجم هذه الأزمة في الحياة اليومية التي نعيشها من دون وعي جدي بها، ونقد جذري لها ومحاولة مواجهة هذه الأزمة الراهنة التي تسيطر على عقولنا وأفكارنا وسلوكنا من دون أن نعي أبعادها المستقبلية (...) وبدخول أيضا عناصر التطور والتحديث إلى العالم العربي وبدايات النهضة الفكرية والاجتماعية، أضطر الرجل إلى أن يرسل المرأة إلى التعليم ثم إلى العمل، بالرغم من بقاء عقليته ووعيه في مستوى اجتماعي تقليدي مكبل بقيود اجتماعية واقتصادية ثقيلة وضعته أمام خيارين: إما أن تساهم المرأة في العمل الاجتماعي خارج البيت، وإما أن تبقى حبيسة جدران أربعة وتعيش كما (الحريم)، وهو ما جعل الرجل في أغلب الأحيان ممزقا بين قناعات مجتمعه التقليدية وبين السكوت والرضى على الممارسات الجديدة التي أضطر إلى القيام بها بحكم التطور الاجتماعي. "(ابراهيم الحيدر، 2003، ص 9، 11)

إذا قاربنا بين موضعنا حول الاستعراضات الدينية للمرأة وما ينادي به النظام الأبوي الراهن في الميدان الأنثروبولوجي نلاحظ حدوث تحولات كبيرة حاصلة على المستوى الديني والدنيوي le sacré et le profane، ووصول الجنسانية في شكلها الصارخ والمتضارب إلى عملية التوليف بين ما هو جنسي وما

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

هو ديني، فكيف يتم التوفيق بين الذات الدينية والذات الجنسانية داخل التجمعات الطلابية للبنات؟

إشكالية البحث:

إن تردد الطالبات بين المعايير الجنسية والمعايير الدينية في هذه المرحلة العمرية يحيل إلى أن مفهوم " الجنسانية قبل الزواجية مركبة من سلوكيات ومشاعر ورؤى مختلفة، بل متعارضة ومتناقضة صحيح أن الطابع المركب والممزق قائم في السلوك الجنسي وهو حاصل لا يمكن نفيه إلا أنه تمزق في صيرورة متواصلة. " (عبد الصمد الديالمي، 2019) وبالتالي وجود دينامية فيما يخص السؤال السوسيو–جنساني في حياة الطالبة، والذي اعتبرناه كخيط ناظم للعديد من السلوكات اليومية والتجارب الحياتية هذا ما دفعنا للبحث في الظاهرة الدينية من خلال طرحنا الإشكال التالي:

كيف يتم تناول المسألة الجنسانية بطريقة أخلاقية داخل التجمعات الطلابية للبنات؟ وكيف يتم تنظيم الحياة الإقامية لطالبات الأحياء الجامعية؟ في هذا الصدد قسمنا المسألة الجنسانية إلى نوعين من الخطابات وهما: " المرأة والممارسة الدينية المحافظة "، و " الجنسانية العلمانية " قبل أن نشرع في تحليل عناصرنا البحثية نقدم الاقتراب المنهجي لموضوع دراستنا، والذي تمثل في اقتراحين أساسيين.

فرضيات الدراسة:

1. إن الممارسات والنشاطات التي يرسخها النظام الأبوي في ذهنية البنت المقيمة بالحي الجامعي يعكس كيان اجتماعي لصورة الأنوثة في شكلها التقليدي المحافظ.
2. تعمل الثقافة الأبوية المستحدثة على تجاوز نمطية الأدوار والممارسات في حياة الطالبة المقيمة بالحي الجامعي، وذلك من خلال ممارسة حد من المعقولية على المستوى الديني والدنيوي.

المنهجية المتبعة:

إن الإجابة على اقتراحاتنا جعلنا نعتمد على الثقافة الأبوية التقليدية والمستحدثة في نفس الوقت والتراوح بينهما، كاقتراب نظري مرجعي لفهم التحولات الحاصلة حول قضية المرأة وكأقرب نموذج تصوري لواقع الطالبات اللواتي مثلنا موضوع اهتمامنا. فبعد تجربتنا البسيطة أثناء المرحلة الاستطلاعية تم بناءنا لموضوعنا على أساس عنصرين بحثيين تتلائم نظريا وميدانيا مع مستوى تدريبنا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لم يكن بحثنا نظريا صرفا، بل مزجنا بين الاشتغال على الجانب الامبريقي والتحليل العلمي من الزاوية السوسيو–أنثروبولوجية. كما اعتمدنا على المنهج الأنثروبولوجي بتقنيتيه الأساسيتين: المقابلة نصف الموجهة والملاحظة التي تمت من خلال تركيزنا على المشاهد الحية المقتطفة من ميدان الدراسة (الحي الجامعي الذكرى الثلاثون للثورة بوهران)، وإعادة قراءتنا للمعطيات الميدانية التي سوف نعرضها في هذا المقال.

لقد تشابكت في موضوعنا على المستوى المنهجي مجموعة من المفاهيم الأساسية، حيث لم يكن تعاملنا مع الأليات المفاهيمة تعامل نظري صرف، بل استندنا في ذلك على ما عشناه في تجربتنا الميدانية، فأهم هذه المفاهيم البحثية ما يلي:

مفهوم الجنوسة:

" ماذا يعني أن يكون المرء رجلا؟ وماذا يعني أن يكون امرأة؟ وما الذي يشكل هويتنا الجنسية؟ " (ميشيلا مارزانو، 2011، ص 101) من هنا نفهم بأن كلا من مفهومي الذكورة والأنوثة هي ' صناعة ' من قبل الأفراد وليست نتيجة حتمية طبيعية، فجوديث بتلر Judith Butler ترى " ' أن تكون رجلا ' أو ' أن تكون امرأة ' يتمثل في تحقيق خصائص الذكورية أو الأنثوية: إن مجموع الأفعال التي ينجزها الفرد والتي يفترض أن تعبر عن هويته الجنسية ليست إلا اختلافات مصنعة ومصانة بفضل علامات جسدية. " (ميشيلا مارزانو، 2011، ص 103)

وتؤكد سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir أننا لا نولد نساء أو رجالا وإنما نصبح كذلك، تتنوع الأقاويل حول مفهومي الذكورة والأنوثة والتي يمكن اعتبارهما صناعة بشرية ندرك معناها من خلال العلاقات التفاعلية للفرد داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فمن مجمل ملاحظاتنا في ميدان الدراسة حول علاقة الطالبة بالحي الجامعي والذي يمكن أن نعتبره هو الآخر من بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية، لاحظنا بأن جل الطالبات الداخليات ' تتغير سلوكاتهن وتصوراتهن حول كل ما هو محيط بهن، هذا ما يعكس سيرورة التنشئة الاجتماعية التي تتم وفق كل المراحل العمرية للشخص. بهذا المعنى " يصبح الجندر ليس ما يتم فعله بنا فحسب، بل إن الجندر هو ما ' نصنعه ' نحن بأنفسنا وذلك لأننا نقوم على الدوام بخلق وإعادة خلق هوياتنا الجندرية في سياق تفاعلاتنا مع الآخرين وفي إطار المؤسسات الاجتماعية التي تضمنا. " (عزة شرارة بيضون، 2007، ص 13)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مفهوم التجربة الطلابية:

عندما نتكلم عن ' الطالبة الداخلية ' نجد أنفسنا أمام فاعلات في المجتمع لهن تجارب متعددة فيما يخص المرحلة الشبابية، فالبنت التي تدرس بعيدا عن بيت أهلها هي في مواجهة تجارب وخبرات متعددة أهمها ما يتعلق بالخبرات المجالية وكيفية الانخراط داخل الفضاء الجامعي الجديد، هذا ما يتم من خلال " وجود استعدادات عقلية وميولات تحدد وفق البيئة أو المحيط " (يونس لعوبي، أحمد منيغد، 2015، ص 137) الذي تجد الطالبة نفسها داخله.

" إن دينامية التجارب الخاصة بالطالبة المترددة بين بيت العائلة وسكن الإقامة من شأنها أن تفتح المجال أمام هذه الأخيرة حتى تركب أنماط عيش لا هي عائلية تخضع للتقاليد وأعراف الأسرة العتيدة، ولا هي فردانية لا يضبطها شرط أو قيد، لكن هذا لا يستثني في ذات الوقت من باب التجريب واكتساب الخبرة الانعتاق الواسع في تبني تجارب حياتية يحكمها التصرف والممارسة الحرة. " (مختار مروفل، 2013، ص 23)

وعليه تعكس التجربة الطلابية للبنت الداخلية اكتسابها نماذج ثقافية متنوعة تنوع ثقافات الطالبات اللواتي تعشن مع بعضهن داخل الحي الجامعي، هذا ما لمسناه في وجود الطالبة النقابية، والطالبة الممارسة للنشاطات الرياضية وأخرى مهتمة بتنظيم الحلقات والمحاضرات الدينية إلى غير ذلك من النماذج المتعددة، كل هذه الطالبات تتلاقى في الأخير على أرض الحي الجامعي لترسم لنا تجارب متعددة.

مفهوم الحي الجامعي:

هو فضاء اجتماعي و ' تجمع لصناعة الخطاب الجنساني ' غالبا، وهو الوسط الذي يتيح لممارسة الجنس والرغبة في الظهور والإعلان عن عدد لا يحصى من المكبوتات غير المصرح عنها في الوسط الأسري، فالحي الجامعي فضاء يعلن عن ' وضع الجنس في خطاب '، هذا ما يوحي إلى بروز الجنسانية من خلال أرشيف الاعتراف والذي يعتبر مادة خصبة يتم بموجبها تحويل الرغبة والأحاسيس الجنسية على وجه التحديد، إما على شكل خطابي معلن عنه داخل جماعة الانتماء (جماعة الرفاق داخل الحي الجامعي)، وإما على شكل ممارساتي." فالتجريب والاختبار هو سيد الموقف، فلا المعايير التقليدية ولا الأحكام الدينية ولا الرغبات المنفتحة، هي من تضبط ممارسات الطالب المقيم بشكل مسبق، ذلك أن تأثيرات

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المكان ذات الخصوصية الجيلية، التي تنعدم معها التراتيبات العمرية أو تكاد تجعل من المرجعيات والقواعد محل امتحان وتفاوض وإعادة ابتكار. " (مختار مروفل، 2013، ص 13)

بهذا المعنى ينتقل **مفهوم الجنسانية** من كونه أمر مراقب ومحظور داخل الوسط الأسري، إلى أمر تنشأ حوله لغة حوارات ونقاشات ساخنة بعد وجود الفضاء المناسب لذلك. إن الخطاب الجنساني داخل الأحياء الجامعية للبنات هو تعبير عن أشكال لجنسانيات متعددة، فموقف الخطاب أو الممارسة الجنسانية للطالبة داخل الحي يتجسد وفق عوامل ومكونات متعددة.

بمعنى آخر أن الطالبة التي تسعى وراء المطابقة بين السلوك الجنساني ' الحر ' والمنظومات الأخلاقية، والطالبة التي تسعى وراء المنظومات الدينية والسلوكات التي تعرف نوع من الانضباط تجتمع جميع هذه السلوكات والتمثلات في الأخير تحت نتيجة مفادها أن ممارسة تقنيات الذات قد لا تميز بين الطالبة التي تخضع لبرامج الأخلاق ونظم الدين، وبين الطالبة التي تجعل من الجنس موضوع خطاب معلن، وذلك لأن كلا النموذجين يدور داخل السجال الجنساني في نظرنا، يكمن الفرق بينهما في أن الأولى تعلن عن وضعها الجنساني بصورة مباشرة، بينما الطالبة التي تستند على الخطاب الديني، فهي تتكلم عن الجنسانية من خلال تناولها لمواضيع متنوعة مثل: مدى مشروعية العلاقات العاطفية، كيفية اختيار الزوج الصالح...الخ.

وعليه " فالذي يقول بأن الخاصيات البيولوجية للإنسان ما هي إلا حقه النزيه في موقعه ضمن المجموعة، " (دافيد لوبروتون، 2014، ص 33)، فإن الجنسانية بهذا المعنى " تعد غير اجتماعية من حيث الأساس، لكن هذا لا يعني أنها معادية للمجتمع ومن ثمة لا يجب أن ننظر إليها على غرار الأنظمة الأخلاقية أو الدينية على أنها سلبية، فعندما نقول إن الجنسانية غير اجتماعية، فذلك لكي نشير إلى قدرتها على توحيد الأفراد والجماعات الاجتماعية في ظل شروط معينة، وتقسيمهم في ظل شروط أخرى، هذا ما يجعل ممارسة الجنسانية تخضع في كل المجتمعات لإعادة إنتاج علاقات اجتماعية ليس لها علاقة بها. " (خالد شهبار، 2018، ص 108)

أولا:المرأة والممارسة الدينية المحافظة:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن أشكال التدين les religiosités الممارسة داخل الأحياء الجامعية للبنات شغلت اهتمامنا طويلا من ناحية الكيفية التي نفسرها بها، لنصل في الأخير إلى أن نمط الممارسة الدينية يحيل إلى مفهوم مكاني بالدرجة الأولى، فلا يمكننا أن نتكلم عن الممارسة الدينية داخل التجمعات الطلابية للبنات دون استحضار نمط التدين والممارسة الجنوسية والفضاء الاجتماعي، هذه العلاقة ثلاثية الأبعادHologramme* تقتضي منا تفسير كل ممارسة دينية تحتاج إلى فضاء اجتماعي تطبق داخله وذلك للتأكيد على مبدأ التقسيم بين الجنسين أي إعطاء نمط التدين صبغة جنوسية، إضافة إلى استخدام الطالبة لهذا الشكل من التعبير داخل الحي الجامعي ما هو إلا عبارة عن ردود أفعال ومكتسبات قبلية عاشتها الطالبة داخل وسطها الأسري.

" والواقع أن المجتمع يختار ويمارس الفصل بين الجنسين فيدفع بالأفراد إلى استثمار طاقاتهم في العلاقة مع أفراد جنسهم، " (فاطمة المرنيسي، 2005، ص 153) فالتقسيم النمطي stéréotype للمكان يتم بطريقة تلقائية وغير معبر عنها لفظيا verbalement بقدر ما هو عملية ممارسة في الحياة اليومية، ونستشهد على واقع التقسيم بين الجنسين داخل الفضاء بقول ادوارد هال Edouard Hall نوعية المكان اجتماعية أكثر منها مادية ومن أجل الوقوف على فهم قضية المرأة والممارسة الدينية في شكلها المحافظ استحضرنا في عملنا الطالبة وممارسة الدين، وتقسيم الفضاء الاجتماعي.

1. الطالبة وممارسة الدين: أثناء اشتغالنا حول الأنشطة الدينية التي تقام داخل الأحياء الجامعية من قبل " تنظيمات طلابية دينية " غالبا، لاحظنا أن الدين كممارسة اجتماعية تجسد في مجموعة من الأشغال اليدوية التي تعبر من خلالها الطالبات عن الأنشطة الدينية والتي ترمي إلى تعزيز صورة الحجاب في حياة البنت، وإلى التقرب من الله بالصلاة وحلقات حفظ القرآن الكريم، الملاحظ في هذه النشاطات هو تقوية ايمان الطالبات وتعزيز الوازع الديني في نفوسهن (أنظر الملحق رقم 01). هذا إلى جانب حدوث مناوشات غالبا بين الطالبات النقابيات، حيث تتمثل المناوشات في محاولة الأخوات منع الاختلاط داخل الحي الجامعي ففي العديد من المرات لاحظنا إحدى الأخوات تقف أمام باب قاعة الحفلات كالحارس

*فسرنا ' **الخطاب الديني** ' انطلاقا من علاقة ثلاثية تربط بين الدين، والجنوسة والفضاء الاجتماعي فهذا لايعني أن هذه العلاقة الثلاثية موجودة داخل أي تجمع بشري، ولكننا لا نهتم بذلك إلا بما يجري في مجتمع بحثنا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

محاولة بذلك منعها الطالبات من الاختلاط بفرقة الغناء التي تكون مدعوة من قبل منظمة طلابية ' غير دينية AREN ' مثلا، " فحدوث خلل واختلاف وخلاف وممارسات سلبية متناقضة مع المنظومة التشريعية في الإسلام مردها إلى تلك الفئات الاجتماعية المختلفة من الناس التي لا تلتزم بأصول الشريعة ولا بأحكام الإسلام "(ابراهيم الحيدر، 2003، ص 275)

ليس هذا فحسب بل تحاول الأخوات امتلاك المجال l'appropriation de l'espace وذلك بجعله فضاء لممارسات دينية فقط وإعطائه طابع القدسنة، كل هذه الأحداث المتضاربة في الحياة الداخلية للطالبات المقيمات بالأحياء الجامعية ترمي إلى الكيفية التي تستغل بها البنات الفضاء الاجتماعي.

2. التقسيم الاجتماعي للفضاء:(قدسنة المكان الاجتماعي):إن المعنى الضمني لعلاقة الطالبة بالممارسة الدينية داخل الحي الجامعي هي علاقة مجالية territoriale، ففي هذا السياق ترى فاطمة المرنيسي أن المعنى الضمني للحدود في الحياة الجنسية يتمثل في العلاقة بالمجال الاجتماعي للفاعل، هذا التقسيم المجالي المسكوت عنه مثل تلك الممارسات " التي تشارط المعيارية الدينية الممارسات العامة والتعبير عن كيفيات استعمال المكان وإدارته من قبل أناس غير متجانسين في الفكر والسلوك ويقتسمون العيش على نفس الرقعة، " (مختار مروفل، 2013، ص 81) فعلى سبيل المثال تعمل الطالبات الأخوات على قدسنة المكان la sacralité de l'espace شبه الأنثوي، هذا ما ناحظناه في التجارة الدينية من كتب، ولباس ديني، وحتى تبادل الأفكار الدينية بين الطالبات. (أنظر الملحق رقم 02).

بهذا المعنى يعتبر مارسال موس " المقدس بمثابة نسق كلي وكبنية وكحقيقة اجتماعية réalité sociale، أهم ما تحتاجه هو قدرة الباحث على تفكيكها وإعادة تركيبها حتى يتمكن من إبراز المعنى ويوظفه أعضاء كل جماعة على حدة فيما بينهم (...) بحيث يبدو أنه كان على وعي بأن الوقوف عند المعنى الذي يعيش به أعضاء كل جماعة معينة المقدس وكيف يحضر في ذهنياتهم لا يتوقف على تقنية التكميم أو الوصف فقط أو البحث عن العلاقات السببية للظواهر الاجتماعية، بل البحث عن المعنى الذي يعطيه له أعضاء كل جماعة في علاقاتهم الاجتماعية وفي تمثلاتهم وفي نظرتهم إلى العالم "(عبد الهادي الحلحولي، 2016، ص 50، 51)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تماشيا مع نفس السياق الموسي تحاول الطالبات النقابيات (نقصد تنظيم UGEL غالبا أو الطالبات المهتمات بالمصلى ونشاطاته) الفئة الأكثر حضورا أثناء تكلمنا عن إقامة النشاطات الدينية في الحي الجامعي الذكرى الثلاثون للثورة بوهران، فمن بين النشاطات التي تم حضورنا لها وهي: أسبوع الحجاب، أسبوع القرآن الكريم، أسبوع الهدى، أسبوع العفة، برنامج شهر رمضان، حملة أسبوع الأقصى، (أنظر الملحق رقم 03) وما كان ملاحظ أيضا هو تكرار هذه النشاطات كل سنة تقريبا.

لا يتوقف المعنى الضمني لعلاقة الطالبة بالممارسة الدينية عند قدسنة المكان الاجتماعي، بل التعبير عن تقسيم الفضاء الاجتماعي تبدأ بقدسنة المكان الاجتماعي لتصل إلى واقع التقسيم الجنسي للفضاء، ففي بحثنا التقى مفهوم الفضاء الاجتماعي مع مفهوم الحريم والذي يعتبر " بمثابة القيد على حرية وتنقل المرأة "(عبد الرحمان علال، ص 3) ' فالحرم الجامعي للبنات ' مجال أنثوي لا يجوز لأي كان اختراقه " فالحدود لا توضع مجانا والمجتمع لا يتلاعب بالتقسيم لمجرد رغبته في تجزيء العالم الاجتماعي (...) ويرادف اختراق الحدود الخروج عن طاعة الله، وتبدو العلاقة بين الحدود والسلطة بوضوح في البعد الجنسي للمجتمع. "(فاطمة المرنيسي، 2005، ص 149)

تعتبر الرمزية الجنسية هنا قائمة على تقسيم الفضاء الاجتماعي على أساس الداخل/ والخارج، حيث الداخل لا يرتبط بالأسرة والفضاء المنزلي فقط، بل بإمكانه أن يرتبط بكل فضاء يعبر عن عالم النساء كالتجمعات داخل الأحياء الجامعية وداخل المعاهد وجميع المؤسسات التربوية. أما الخارج فيشمل الفضاء العام أو ما يعبر عنه بعالم الرجال وندعم طرحنا حول تفسير مسألة الداخل/ والخارج بمفهوم بنية الحريم حسب فاطمة المرنيسي " والتي تحيل إلى مفهوم مكاني مؤكدة على أن هندسته المعمارية تتوزع إلى قسمين اثنين: فضاء داخلي أنثوي مستتر ومحرم على كل الرجال ما عدا السيد، وفضاء خارجي مفتوح على كل الرجال ما عدا النساء. "(عبد الرحمان علال، ص 3)

" الحياة الجنسية في العالم الإسلامي ذات طبيعة مجالية " (عبد الرحمان علال، ص 11) على حسب تعبير فاطمة المرنيسي ومن بين الدعامات الأساسية التي يقوم عليها الحريم أثناء الاشتغال على التجربة المجالية " مبدأ الفصل والذي يحيل إلى إحدى أهم خصائص الحريم المتجلية في بعده المكاني، فلا يمكن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

للنساء ولوج مكان الرجال ولا يمكن للرجال ولوج مكان النساء، فالحريم محكوم بفكرة الملكية الخاصة والقوانين التي تسيرها. " (عبد الرحمان علال، ص 10)

من علاقة الحريم بالحي الجامعي للبنات ننتقل مرة أخرى مثلما انتقلنا من قدسنة المكان الاجتماعي إلى التقسيم الجنسي للفضاء، لكن هذه المرة ننتقل إلى الكيفية التي تعالج بها المتدينات تصرفاتهن الجنسانية عن طريق التوبة، فمن الشواهد التجريبية التي تدل على ذلك في الحي الجامعي الذكرى الثلاثون للثورة كانت هناك مجموعة من الطالبات اللواتي يطلق عليهن ' بنات الليل ' معروفين داخل الحي الجامعي، توفت إحدى زميلاتهن بطريقة انتحارية ما لوحظ على تصرفات زميلاتها فيما بعد هو أنهن ارتدن جلابيب والتزمن بالشرع، فكل تصرفاتهن السابقة تغيرت جراء انتحار زميلتهن.

من خلال تسجيلنا لهذه الحادثة التي جرت في الحي الجامعي الذي نقطن فيه، تم تساؤلنا عن كيف يتحول الشخص شديد التدين من الديني إلى الجنساني؟ وكيف تحدث داخل التجمع الطلابي للبنات ' علمنة جنسانية ' " خاصة بالنسبة لكل ما يتعلق بالمعتقدات والتمثلات الدينية باعتبارها بنيات ذهنية تحيل بدورها على مجمل الحقائق الاجتماعية الموجودة بالمجتمع. "؟(عبد الهادي الحلحولي، 2016، ص 51)

ثانيا:الجنسانية العلمانية:

نقصد ' بالجنسانية العلمانية ' في موضوعنا استهلاك الدين بما يتماشى مع المصلحة والمتع الحياتية للطالبات هذا ما يظهر حد من المعقولية على مستوى المتدينات، حيث يقوم هذا التصور على أساس العلاقة التركيبية والتصادمية في نفس الوقت بين الجانب الديني والجانب الجنساني، هذا النمط العلائقي ' الهجين ' ناتج عن " الحرية والمبادرة الأنثوية في الجنس والتي تشكل تهديدا للنظام الاجتماعي البطريركي " (سوسان جرجس، 2019، ص 162)، فهذه الصيغة تجعل الطالبات يجمعن بين المرجعية الإسلامية ومتطلبات الحداثة والعولمة. أي تجمع الطالبات بين ما تمليه القوانين والأعراف الاجتماعية، وبين ما تقره نفوسهن من بحث عن طرق للإشباع الجنسي والتي يمكن أن تحدد بطريقة تلقينية غالبا، كون الحي الجامعي للبنات بمثابة فضاء شبه أنثوي.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

على هذا الأساس تصاغ الجنسانية العلمانية انطلاقا من قواعد اجتماعية، هذا يعني " أنها ظاهرة متغيرة تخضع لثقافة المجتمع، فضلا عن تعرضها للتبدل والتغير وفقا للمثاقفة الفكرية والمجتمعية التي قد تربط مجتمعا بمجتمعات أخرى. (سوسان جرجس، 2019، ص 161) ومن تراكم تجربتنا المعرفية داخل الحي الجامعي رصدنا بعض الملاحظات القائمة على أساس العلاقة التصادمية بين الممارسة الدينية والممارسة الجنسانية بالنسبة لفئة الأخوات المنخرطات في التنظيم الطلابي المسمى ب: الاتحاد العام الطلابي الحر (وحدة- حرية- عمل) Union Générale Estudiantine والمختصرة في كلمة (UGEL)، ففي العديد من المرات يتم إلقاء محاضرات حول ما هو جنساني مثل: محاضرة ' الحب الحلال ' التي ألقاها الأستاذ طاهري بلخير في الحي الجامعي للبنات (الذكرى الثلاثون للثورة بوهران)، تطرق فيها إلى مشروعية العلاقات العاطفية من باب أن التعلق بشخص ما ليس عيبا، ففي هذه الحالة لاحظنا بأن حتى الفتاوي الدينية تمارس حد من المعقولية على مستوى الدين.

أشار نفس الأستاذ إلى أن الطالبة المقبلة على التخرج تريد الحصول على شهادتين وهما: شهادة الزواج وشهادة التخرج. فقد حاول بذلك طاهري بلخير أن يكيف موضوع الارتباط العاطفي الذي هو محرم دينيا وإعطائه طابع شرعي لهذه الظاهرة الاجتماعية. هذا ما يعكس أن " الجنس قانون أساسي ووفقا له تنشأ التفاعلات الاجتماعية والبنيات الاجتماعية، قانون يعزز كذلك التصورات التي يحملها الأفراد عن طبيعتهم البشرية العميقة. " (ارفينج غوفمان، 2019، ص 33) فقد كان استخدامنا لعبارة ' الجنسانية العلمانية ' بمثابة " تعبير غير ديني عن القيم الجنسية السامية التي أوجدها العقل الإنساني "(عبد الصمد الديالمي، 2019).

في إحدى التجمعات التي كانت تقام غالبا أمام مطعم الحي الجامعي في الليل سمعنا إحدى الأخوات تطرح سؤالا على الطالبات وهو: من منكن تريد زوجا صالحا؟ حتى تجيب على هذا السؤال في إطار الدين، فملاحظتنا لهذا النوع من الأسئلة كان متكررا في خطاباتهن على الغالب، كما أن مشروعية العلاقات العاطفية في نظر هذه الفئة من الأخوات تدور حول محور الزواج، حيث أن كل علاقة عاطفية متبوعة بالزواج قد تكون مقبول في نظرهن كونها انتهت بعلاقة مشروعة بهذا المعنى تشكل الأحياء الجامعية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حراك اجتماعي كبير mobilité spatiale يجعلنا نرصد جملة كبيرة من التحولات الحاصلة داخل الحي الجامعي للبنات فيما يخص الجانب الجنساني.

إن الخطاب والممارسة الجنسانية المتحصل عليها من ميدان عملنا لم يتوقف على الملاحظات فقط، بل ما عزز هذا العنصر البحثي في نظرنا هو التصريحات المتنوعة، فعلى سبيل المثال كريمة طالبة البالغة من العمر 25 سنة، تدرس علوم شرعية مقيمة بالحي الجامعي الذكرى الثلاثون للثورة تحدثت لنا عن زميلتها التي كانت تدرس نفس تخصصها بقولها: ' أنها لم تختار تخصص شريعة إسلامية حتى تدرس ماذا قال الله وماذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن اختيارها لهذا التخصص كان من أجل مدينة وهران، ولهذا السبب أغلب الناس يقولون لها بأن مظهرك لا يشبه مظهر أصحاب الشريعة فأنت لست ملتزمة ولا يظهر عليك الالتزام في حياتك ' (كانت هذه الطالبة متبرجة ومهتمة بمظهرها الخارجي كثيرا حسب ما جاءت به المبحوثة كريمة أثناء التصريح).

يشير كلام المبحوثة إلى أن اعتراف زميلتها بمثابة أرشيف لمادة خصبة نشتغل عليها كباحثين أنثروبولوجيين، حيث بموجبها يتم تحويل الرغبة وكل أحاسيسها الناجمة في شكل خطابي وممارساتي، فالطموح إلى تطوير الاعتراف وتوسيع المجال الجنساني لحياة الطالبة الذي لا يتوقف على التناسب الطردي بمعنى كل طالبة تدرس علوم شرعية لابد أن تكون ملتزمة ومحجبة، بل هنا يظهر توسع المجال الجنساني كأن تتحول الرقابة على الجنسانية وحظرها إلى تفجير المكبوتات المقموعة وتجسيدها في شكل ممارسة أو خطاب متمرد على المنظومة الأخلاقية وقت وجود فرصة الظهور والإعلان عن كل ما يصب في القالب الجنساني. فاختراق الطالبة الجامعية للضوابط المجتمعية في بعض الأحيان له ما يبرره، حيث هناك العديد من الطالبات اللواتي ترى بأن ممارستها وخطاباتها المحظورة tabou في نظر العديد من الأشخاص أهون عليها من أن تتصنع في سلوكاتها اليومية، وذلك تبعا للمقولة التي كانت متكررة وتطلق كثيرا على طالبات الأحياء الجامعية وهي: ' حجابي سر سعادتي ' حيث يطلق الذكور على الفتيات هذه المقولة بدافع الاستهزاء بهن، كون أن هناك العديد من الطالبات المرتديات للحجاب لكن في حقيقة الأمر يبقى الحجاب بمثابة قطعة قماش تتستر وراءها البنت فقط، حتى يكون من السهل عليها ممارسة كل ممنوع دون انتباه أفراد المجتمع لها كونها محجبة وساترة لكل أجزاء جسدها التي تغري الجنس الآخر.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن وجود أي ظاهرة دينية داخل بيئة ثقافية متحولة لا يقتصر على التجمعات الطلابية للبنات، ولكن أيا كان من أفراد المجتمع بإمكانه أن يمارس حد من المعقولية على الظاهرة الدينية ويقول بعد ارتكابه الذنب ' إن الله غفور رحيم '، ولكنه نسي بأن ' الله شديد العقاب '، فقد لاحظنا في الكثير من الأحيان وجود عقلانية في ممارسة الدين حتى على مستوى رجال الدين أنفسهم كالفتاوي حول الاستنماء، والولوج إلى المواقع الإباحية، فتلتقي في الأخير هذه الفتاوي وتعبر عن سد باب الذريعة والابتعاد عن الوقوع في المعصية.

تحليل النتائج المتوصل إليها:

قادتنا كل الاعتبارات الآنفة الذكر إلى أن ' الجنسانية النسائية قبل الزواجية ' توحي إلى رؤئ ومشاعر مركبة ومختلفة ومتناقضة أحيانا، فمنها ما هو تعبير عن ممارسات دينية خالصة، ومنها ما هو تعبير عن سلوكات جنسانية ذات طابع توليفي بين الديني والدنيوي فأهم هذه الاستنتاجات ما يلي:

1. يعمل النظام الأبوي في بعض الأحيان على تشكيل هوية أنثوية مفعمة ' بالثقافة المحافظة '، في حين تعمل البنت على ترجمة المكتسبات القبلية من قبل أسرتها حين تجد الفضاء المناسب (المقصود هنا الحي الجامعي للبنات) لتفعيل هذه النشاطات، والتي هي في حقيقة الأمر ترجمة لردود أفعال ومكتسبات سابقة في حياة الطالبة.
2. يلقن المجتمع للبنت العديد من المفاهيم المعقدة، كمفهوم ' الحشومة ' الذي لابد على البنت أن تتصف بها، حيث تعبر " الحشومة عن صورة قناع سميك يفصل بين عالمين متعارضين أتم التعارض، أحد هذين العالمين تحكمه المواضعات والعادات، ولا يترك للمرء فيه سبيل لكي يثبت بذاته من حيث هو فرد متحرر من النموذج الاجتماعي، وأما العالم الثاني فقوامه الصمت والأسرار، إنه عالم الشخص الذي لا يحسب فيه حساب التقاليد ولا يقام فيه وزن للمواضعات. " (سمية نعمان جسوس، 2011، ص 10)، فالعالم الثاني قد تكتشفه البنت بعد عيشها داخل الحي الجامعي للبنات، أي أن الأحاديث الساخنة المتداولة بين الطالبات تجعل كل واحدة منهن تكتشف هويتها الجنسية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3. أدى النظام الأبوي المستحدث إلى حدوث تحول كبير على المستوى الديني والدنيوي ووصول الجنسانية في شكلها الصارخ والمتضارب أحيانا إلى عملية توليف بين ما هو تعبير عن ممارسات جنسانية وما هو تعبير عن سلوكات دينية خالصة.
4. إن جل الممارسات اليومية لطالبات الأحياء الجامعية هي عبارة عن تراكمات لأفكار اكتسبتها البنت من خلال سيرورة تنشئتها، فبطبيعة الحال تعيش البنت أزمة تضارب بين فكر جنساني مفعم بتصورات خارجة عن ثقافة وسطها وفكر ديني يعود إلى مرجعيات محددة، هذا التراوح يوحي في الأخير إلى أننا نعيش في سياق بيئة ثقافية متحولة، ليست بحداثية تماما وليست ب ' تقليدية ' بشكل كامل، بل عبارة عن ' ثقافة هجينة '.

خاتمـــة:

في ضوء ما سبق ومن ملامستنا البعد الديني في علاقته بالوضع الجنساني القائم في مجتمعنا، كبعد أضفى على دراستنا مجموعة من المساهمات التي تشكل أو تعبر عن التصور الراهن والمثمثل في العلاقة التصادمية والتركيبية أحيانا بين الخطاب الديني والخطاب الجنساني.

لا تتوقف الممارسة الدينية في حياة الطالبة المقيمة بالحي الجامعي على الدورات التكوينية ذات الطابع الديني والحلقات القرآنية فقط، بل تصل إلى مجموعة من الأشغال اليدوية فما ترمي إليه هذه الأشغال هو تعزيز صورة الدين في حياة البنت، إضافة إلى أن الطالبات المهتمات بهذا النوع من النشاطات على حد ما كان ملاحظ في سيرهن الذاتية هو أن نمط " الثقافة الأبوية " غالب على مستوى تصوراتهن.

وتماشيا في نفس المسار السابق يمكننا أن نعتبر الأحياء الجامعية للبنات بمثابة فضاء تتشابك داخله مجموعة كبيرة من تصورات وسلوكات الفاعلين الاجتماعيين، ومن بين هذه السلوكات لاحظنا وجود ممارسات دينية خالصة، ووجود ممارسات للطالبات تبرز كيفية انتقالهن من الديني إلى الجنساني (أي استهلاك الدين بما يتماشى مع مصلحة الطالبة هذا ما يظهر حد من المعقولية على مستوى المتدينين أنفسهم). فالطالبة التي بإمكانها الانتقال من بيت عائلتها لإتمام دراستها بعيدا قد يجعلها على قدرة كبيرة من ممارستها حد من المعقولية على مستوى الدين فهنا تتراوح الطالبة بين ما يقر به النص الديني وبين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

متطلبات الحداثة كل هذا نتاج عيش الطالبة في سياق مجتمع متحول ما هو بثقافة محافظة، وما هو بثقافة حداثية " علمانية " أي حدوث " تشققات " في كيفية استهلاكنا للظاهرة الدينية.

إن المعنى الضمني لعلاقة الطالبات بالممارسات الدينية هي علاقة مجالية territoriale هذا النوع من العلاقة بالمجال غير مصرح به لفظيا بقدر ما هو نشاط ممارساتي يعطي للحي الجامعي طابع القدسنة نلاحظ ذلك في عبارة " الحرم الجامعي "، فلا يجوز لأي كان اختراقه كونه فضاء شبه أنثوي خالص، وبصفتنا كباحثين أنثروبولوجيين كل علاقة طالبة بالمجال هي تعبير عن رمزية جنسية قائمة على أساس الداخل (كل ما يعبر عن عالم النساء كالتجمع الطلابي للبنات) والخارج (ما يعبر عنه بعالم الرجال أي خارج أسوار الحي الجامعي)، فالعلاقة بين الداخل/ والخارج تعتبر من بين الدعامات الأساسية التي يقوم عليها تصورنا للأحياء الجامعية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الملاحق:

الملحق رقم 01: صور أشغال يدوية تعبر عن ممارسة الدين في الأحياء الجامعية للبنات

الملحق رقم 02: اعطاء الحي الجامعي للبنات طابع مقدس من خلال التجارة الدينية

الملحق رقم 03: النشاطات الدينية التي تقام في الأحياء الجامعية للبنات

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المراجع:

1. ابراهيم الحيدر، (2003)، النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب، (ط1)، دار الساقي، لبنان، بيروت، لبنان
2. ارفينج غوفمان، (2019)، البناء الاجتماعي للهوية الجنسية، (ط1)، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب –الرباط–
3. خالد شهبار، (2018)،سجال سوسيوأنثروبولوجي حول مساهمة النساء في إعادة انتاج السيطرة الذكورية، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، (م6)، (ع23)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المغرب
4. دافيد لو بروتون، (2014)، سوسيولوجيا الجسد، (ط1)، روافد للنشر والتوزيع، مصر – القاهرة–
5. سمية نعمان جسوس، (2011)، بلا حشومة الجنسانية النسائية في المغرب، (ط2)، المركز الثقافي العربي، المغرب
6. سوسان جرجس، (2019)، المرأة الريفية وواقع تملكها لجسدها دراسة في أنثروبولوجيا الجسد، (ط1)، دار النينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا
7. عبد الرحمان علال، (2014)، البنية الذهنية للحريم في حفريات فاطمة المرنيسي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، (ع29)، الرباط، المغرب
8. عبد الصمد الديالمي(2009)، سوسيولوجيا الجنسانية العربية،(ط1)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان
9. عبد الصمد الديالمي، (2019)، الجنسانية قبل الزوجية: من الزنا إلى الفساد إلى الحرية الفردية، مؤمنون بلا حدود،(ع22)، الرباط،المغرب
10. عبد الهادي الحلحولي، (2016)، المقدس: بنيته ووظائفه قراءة في كتاب الوظائف الاجتماعية للمقدس، مؤمنون بلا حدود مؤسسة دراسات وأبحاث، الرباط، المملكة المغربية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

11.عزة شرارة بيضون، (2007)، الرجولة وتغير أحوال النساء ' دراسة ميدانية '، (ط1)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –المغرب–

12.عصمت محمد حوصو، (2009)، الجندر الأبعاد الاجتماعية الثقافية، دار الشرق، عمان، الأردن

13.فاطمة المرنيس، (2005)، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، (ط4)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب

14.مروفل مختار، (2013)، مساهمة في معيرة منطق التساكن مقاربة أنثروبولوجية الأحياء الجامعية نموذجا، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، كلية علم الاجتماع، جامعة وهران2، الجزائر

15.ميشيلا مارزانو، (2015)، فلسفة الجسد، (ط1)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان

16.يونس لعوبي، أحمد منيغد(2015)، واقع الاندماج الاجتماعي لطلبة السنة أولى جامعي: " دراسة حالة قسم العلوم الاجتماعية بجامعة جيجل "، مجلة العلوم الإنسانية، (ع4)، الجزائر